و- عصمته من استلام الأصنام، وبيان مراد ما يفيد ظاهره عكس ذلك :

عن زيد بن حارثة رضى الله عنه قال : "وكان صنماً من نحاس يقال له أساف أو نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله : **"لا تمسه"** قال زيد : فطفنا. فقلت فى نفسى لأمسنه؛ حتى أنظر ما يقول! فمسحته فقال رسول الله : **"ألم تنه؟"** قال زيد : فوالذى أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما استلمت صنماً حتى أكرمه الله بالذى أكرمه، وأنزل عليه الكتاب...الحديث"[1]0

أما ما روى ما يفيد ظاهره من استلامه الأصنام، فليس ظاهره مراداً على فرض صحة الرواية، كيف والرواية فى ذلك لم تصح 0

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : "كان النبى يشهد مع المشركين مشاهدهم، قال : فسمع مَلَكين خلفه، وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله . قال : كيف نقوم خلفه، وإنما عهده باستلام الأصنام قبيل؟ قال : فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم"[2] أى لم يعد رسول الله يشهد مع المشركين مشاهدهم التى فيها شئ من الوثنية، وإلا فقد كان يشهد مشاهد الحلف ونحوه، لا مشاهد استلام الأصنام 0

قال الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية : "هذا الحديث أنكره الناس على عثمان ابن أبى شيبة فبالغوا، والمنكر منه قوله عن الَملَك "عهده باستلام الأصنام" فإن ظاهره أنه باشر الاستلام، وليس ذلك مراداً، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم"[3]0

وهذا الرأى ذهب إليه الأئمة : السيوطى فى الخصائص الكبرى[4] وابن كثير فى البداية

---

1 () سبق تخريجه ص 59 0

2 () أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 2/35، وأبو يعلى، والحديث فيه عبد الله بن محمد ابن عقيل، ولا يحتمل هذا من مثله كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/226 0

3 () المطالب العالية 4/179 رقم 4261 0

4 () 1/152 0

والنهاية[1] والبيهقى فى دلائل النبوة[2] والهيثمى فى مجمع الزوائد[3] قائلاً : "رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، ولا يحتمل هذا من مثله، إلا أن يكون رسول الله كان يشهد تلك المشاهد قبل النبوة للإنكار وهذا يتجه، ويفسره ويؤكده رواية زيد بن حارثة السابقة" أهـ بتصرف 0

قلت : وأنا مع الأئمة فيما ذهبوا إليه من إنكارهم للحديث، وتفسيرهم لظاهر استلامه للأصنام بأن المراد به شهوده مشاهد المشركين واستلامهم لأصنامهم، ويؤكد هذا التفسير سيرته العطرة قبل النبوة والتى عصمه ربه عز وجل فيها مما كان عليه المشركون، من أكل ما ذبح على النصب، أو الحلف بأسماء الأصنام، وكذلك عصمته من مظاهر لهو الجاهلية، ولو كان من رسول الله شئ من ذلك لاحتجوا به فى رد دعوته بعد البعثة، ولكن ذلك لم يرد، فدل على عصمته منه 0

"وأياً كان الأمر فإن حديث جابر منكر، أنكره أحمد بن حنبل جداً، وقال هو موضوع، أو شبيه بالموضوع، وقال الدارقطنى : يقال إن عثمان بن أبى شيبة وَهِمَ فى إسناده وقال القاضى عياض : والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه"[4] ورغم حكم أئمة السنة على رواية جابر بالنكارة، إلا أنك تجد بعض الشيعة يحاول أن يوهم قارئه أن علماء السنة يصححونها[5]0

أما ما زعمه "در منغم" من تقربه إلى العزى بشاة بيضاء[6] وما ذكره الدكتور هيكل تبعاً له، من أنه تمسح بالصفراء[7] فكلاهما ادعاء باطل؛ واختلاق من نسج خيال مريض، حيث لم يرد لم زعموا ذكر البتة، فى أى من كتب السنة أو السير أو التاريخ أو غيرها. وأنى لهما أن يثبتا ذلك؟! ولماذا اختيار الشاة البيضاء؟ أو صنم الصفراء بأعيانهما؟ وإذا كان رسول الله ، يصون لسانه عن مجرد ذكر الأصنام؛ فكيف يقرب القرابين إليها ويتعبدها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم 0

---

1 () 2/268 0
2 () 2/36 0
3 () 8/226 0
4 () الشفا 2/114 بتصرف يسير 0
5 () ينظر : الصحيح من سيرة النبى الأعظم لجعفر مرتضى العاملى 2/204 0
6 () حياة محمد ص 75، وينظر : الرسول
7 () ينظر : السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبو شهبة 1/236، وحياة محمد لهيكل ص 117 0

ز- من مظاهر عصمته شق صدره الشريف :

قال تعالى : **ألم نشرح لك صدرك**[1] فى هذه الآية الكريمة يبين رب العزة منته على رسول الله ، بشرح صدره الشريف لإعداده للقيام بعبء الدعوة، وحمل الرسالة، وعصمته من الشيطان الرجيم[2]0

والاستفهام فى الآية (ألم) للتقرير : أى قد شرحنا لك صدرك والشرح هنا فى حقه ، شرح معنوى وحسى معاً0

أما الشرح المعنوى : فهو بالنور الإلهى كما فى قوله تعالى : **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء**[3] وقوله سبحانه : **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**0[4]

أما الشرح الحسى : فقد حدث له أربع مرات[5] وبه قال كثير من الأئمة :

1- وكانت المرة الأولى : عندما كان ابن أربع سنين من عمره المبارك، وكان القصد منها كما جاء فى الرواية – نزع العلقة السوداء من قلبه، كرامة له من عند ربه عز وجل، تلك العلقة التى ولد بها تكملة للخلق الإنسانى، لأنها حظ الشيطان من كل البشر، وقد تم بنزعها من قلبه ، أن نشأ مبرءاً من كل عيب، فنشأ على أكمل أحوال البشر من العصمة من الشيطان، والاتصاف بالمحامد العليا منذ نعومة أظفاره، والتى لا يفوقه فيها غيره[6]0

---

1 () الآية الأولى الشرح 0
2 () ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير 8/448 بتصرف يسير 0
3 () الآية 125 الأنعام 0
4 () الآية 22 الزمر 0
5 () وروى شق صدره الشريف مرة خامسة، وهو ابن عشرين سنة فيما قيل ولا تثبت فلا تذكر إلا مقرونة ببيان عدم الثبوت كما قال أئمة الحديث ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 1/289، 5/472، وفتح البارى 1/549 رقم 349، 13/ 489 رقم 1517 0

وقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه هذه المرة الأولى لشق صدره الشريف مجملة عن أنس بن مالك رضى الله عنه[1] أن رسول الله أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعنى ظئره[2] فقالوا : إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره"[3] فالحديث نص صريح على الشق الحسى لصدر رسول الله [4]، وإخراج جبريل لحظ الشيطان منه، وتطهير لقلبه، فلا يقدر الشيطان على إغوائه إذ لا سبيل له عليه، وهذا دليل على عصمته من كل ما يمس قلبه، وعقيدته، وخلقه، منذ صغره 0

2- وقد تكرر شق صدره الشريف للمرة الثانية، وهو ابن عشر سنين وأشهر من عمره الطيب المبارك، وهو سن بداية الكمال، وذلك لقربه من سن التكليف، من أجل أن لا يلتبس بشئ مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون

---

6 () ينظر : الروض الأنف للسهيلى 1/291، وفتح البارى 7/244 رقم 3887، وشرح الزرقانى على المواهب 1/289، 5/468، 469، 8/67 0

1 () صحابى جليل له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 1/44 رقم 23، ومشاهير علماء الأمصار ص 47 رقم 215، وأسد الغابة 1/294 رقم 258، والإصابة 1/71 رقم 267 0

2 () أى مرضعته، وأصله العاطفة التى تحن على ولد غيرها فترضعه. ينظر : القاموس المحيط 2/79، ولسان العرب 4/2741 0

3 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله 1/488

4 () خلافاً لمن أنكر ذلك من أعداء الإسلام، وأذيالهم من خصوم السنة والسيرة، وسيأتى الرد عليهم ص 184 - 196 0

فى قلبه شئ إلا التوحيد، كما كان أيضاً شق صدره الشريف هذه المرة توطئة لما بعده عند البعثة الشريفة[1]0

فقد أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند عن أبى بن كعب رضى الله عنه[2] أن أبا هريرة رضى الله عنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله عن أشياء لا يسأله عنها غيره، فقال : يا رسول الله ما أول ما رأيت فى أمر النبوة؟ فاستوى رسول الله جالساً. وقال : **لقد سألت أبا هريرة إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر**، وإذا بكلام فوق رأسى، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو؟ قال : نعم، فاستقبلانى بوجوه لم أراها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلىَّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهم بعضدى، لا أجد لأحدهما مساً، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه؛ فأضجعانى بلا قصر ولا حصر، وقال أحدهما لصاحبه : أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدرى، ففلقها فيما أرى بلا دم، ولا وجع، فقال له : أخرج الغل والحسد، فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة، فإذا مثل الذى أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلى اليمنى، فقال : اغد وأسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير، ورحمة للكبير"[3]0

3- وكان المرة الثالثة لشق صدره الشريف عند المبعث، وذلك لإعداد قلبه لتحمل عبء الوحى والرسالة، بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير[4] فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء، فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج النبى ذات ليلة فسمع : السلام عليك، فقال : فظننتها فجأة الجن، فجئت مسرعاً حتى دخلت على

---

1 () ينظر : الروض الأنف 1/291، وشرح الزرقانى على المواهب 1/279، 5/471 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى : تذكرة الحفاظ 1/17 رقم 6، ومشاهير علماء الأمصار ص 19 رقم 31، وأسد الغابة 1/168 رقم 34، والإصابة 1/19 رقم 32 0

3 () أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند 5/139 وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/223 رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات، وثقهم ابن حبان أهـ وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/219 رقم 166، وللحديث شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمى أخرجه أحمد فى مسنده 4/184، وإسناده حسن كما قال الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/221، والدارمى فى سننه المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبى 1/20 [illegible]

4 () ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 1/288، 419، 420، وفتح البارى 7/ 244 رقم 3887 0

خديجة، فسجتنى ثوباً، وقالت : ما شأنك يا ابن عبد الله؟ فقلت **سمعت : السلام عليك، فظننتها فجأة الجن،** فقالت : أبشر يا ابن عبد الله، فإن السلام خير، قال : ثم خرجت مرة فإذا بجبريل على الشمس، جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قال فهلت[1] منه، فجئت مسرعاً، فإذا هو بينى وبين الباب، فكلمنى حتى أنست به، ثم وعدنى موعداً، فجئت له فأبطأ علىَّ، فأردت أن أرجع، فإذا أنا به وميكائيل قد سدا الأفق، فهبط جبريل وبقى ميكائيل بين السماء والأرض، فأخذنى جبريل، فاستلقانى لحلاوة القفا، ثم شق عن قلبى، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفأنى كما يكفأ الأديم، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى، ثم قال : اقرأ، ولم أك قرأت كتاباً قط، فلم أجد ما أقرأ، ثم قال : اقرأ، قلت ما أقرأ قال ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾[2] حتى انتهى إلى خمس آيات منها، فما نسيت شيئاً بعد، ثم وزننى برجل، فوزنته، ثم وزننى بآخر فوزنته، حتى وزننى بمائة رجل، فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة، فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة قالت : السلام عليك يا رسول الله"[3]0

4- أما المرة الرابعة التى شق فيها صدر النبى فكانت ليلة الإسراء والمعراج وذلك تأهباً لمناجاة ربه عز وجل، والمثول بين يديه، واستعداداً لما يلقى إليه من سائر أنواع الفيوضات الإلهية، وما يراه من عظيم الآيات الربانية[4]0

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان أبو ذر رضى الله عنه[5] يحدث أن رسول الله قال : **"فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل عليه السلام، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء**

---

1 () أى فَهبتُ منه، كما جاء فى رواية الطيالسى فى مسنده ص 216 رقم 1539 0

2 () الآية الأولى العلق 0

3 () أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة 1/215، 216 رقم 163، وأبو داود الطيالسى فى مسنده ص 215، 216 رقم 1539، وإسناده حسن كما قال الحافظ فى فتح البارى 1/33 رقم 3، وأخرجه الحارث بن أسامة فى مسنده كما قال الحافظ فى فتح البارى 13/489 رقم 7517 0

4 () ينظر : شرح الزرقانى على المواهب 8/50، والبداية والنهاية 2/257 0

5 () صحابى جليل له ترجمة فى : أسد الغابة 6/96 رقم 5869، وتجريد أسماء الصحابة 2/164، والاستيعاب 4/1652 رقم 2944، وتذكرة الحفاظ للذهبى 1/17 رقم 7 0

بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً. فأفرغها فى صدرى، ثم أطبقه. ثم أخذ بيدى، فعرج بى إلى السماء ... الحديث[1]0

والحكمة هنا فى شق صدره الشريف، مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيماناً وحكمة بغير شق؛ الزيادة فى قوة اليقين، لأنه أعطى برؤية شق بطنه، وعدم تأثره بذلك، ما أمن معه من جميع المخاوف العادية المهلكة، فكمل له بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه، فلذلك كان أشجع الناس، وأعلاهم حالاً ومقالاً، ولذلك وصف بقوله تعالى : **ما كذب الفؤاد ما رأى**[2] وقوله سبحانه : **ما زاغ البصر ما طغى**0[3]

والشاهد فى الروايات السابقة على عصمته ، أنه قد أُفرغ فى صدره الشريف طست ممتلئ حكمة وإيماناً؛ وتجسيد المعنويات فى قدرة الله عز وجل هين... وهذا يوضح عصمته، إنه الذى نزعت عقله من صدره، هى حظ الشيطان منه، وأفرغ فى صدره طست الإيمان والحكمة، فكيف يكون عقل هذا شأنه؟ إنه يكون عقله أسمى من كل عقل، وأزكى من كل فهم، ولم لا : وقد نزع منه حظ الشيطان، وملئ قلبه بالحكمة والإيمان والحكمة جامعة لعموم العلوم والمعارف، والإيمان كلمة جامعة لكل ما يرضى الله تبارك وتعالى[4]0

ح- من مظاهر عصمته تكافؤ أخلاقه :

وهكذا نشأ المصطفى ، محفوظاً ومعصوماً قبل النبوة وبعدها من الشيطان الرجيم، ومعصوماً من كل ما يمس عقيدته بسوء، بل ومن كل ما يمس خلقه، حتى كان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً حتى سماه قومه "الأمين"[5]0

---

1 () أخرجه مسلم (بشرح فتح البارى) كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله 1/489
2 () الآية 11 النجم 0
3 () الآية 17 النجم. وينظر : فتح البارى 7/246 رقم 3887، وشرح الزرقانى على المواهب 8/62 0
4 () ينظر : المدخل إلى السنة النبوية لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 171 0
5 () ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 1/252 نص رقم 197، والروض الأنف 1/346، وطبقات ابن سعد 1/146، ودلائل النبوة للبيهقى 2/56 – 62، وعيون الأثر لابن سيد الناس 1/52 0

وهذا الاسم العظيم "الأمين" يمثل أصدق تمثيل مدح رب العزة له بقوله سبحانه : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**0[1]﴾

وهو اسم يمثل التكافؤ الخلقى فى شخصية سيدنا محمد ﷺ أصدق تمثيل؛ وأعنى بالتكافؤ الخلقى : أن أخلاقه ﷺ كلها قبل النبوة وبعدها تنبع من عصمة المولى عز وجل له، فهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه، ومن هنا كانت أخلاقه كلها نِسَبِها متفقة، فصهره مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه... وهكذا لا تجد له خلقاً فى موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على خلق آخر فى موضعه منها، وهذا التكافؤ الخلقى فى وجوده الواقعى فى شخصيته ﷺ معجزة فى الحياة، لأن الإنسان معترك الغرائز، والتكافؤ الخلقى فى الشباب ضرب من المحالات فى متعارف الحياة، فإذا حققه الوجود الواقعى فى شباب سيدنا محمد ﷺ كان وجوده معجزة، ودليل على عصمة رب العزة له، وعنايته به وحفظه من مظاهر الجاهلية، على ما سبق تفصيله 0

وكذلك التكافؤ الخلقى فى شخصيته ﷺ بعد النبوة يعد معجزة ودليل على عصمته. لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية من كان هذا التكافؤ الخلقى خليقته العامة سوى المصطفى محمد ﷺ، وإذا ذكر التاريخ غيره من النماذج العليا ذكره عنواناً لتبرير جزئى فى بعض الفضائل والأخلاق. فهذا مثل مضروب فى الصبر، وذاك فى الحلم، وثالث فى الكرم، ورابع فى الشجاعة. وهكذا تتفرق النهايات فى الأخلاق والفضائل فى نماذج متعددة، ولكنها تجتمع متكافئة فى شخصيته ﷺ، وهذا من الإعجاز والعصمة 0

وإذا أردت مثلاً على هذا التكافؤ الخلقى فى شخصيته ﷺ فتأمل حاله قبل زواجه من خديجة رضى الله عنها من شظف العيش، وقلة ذات يده، وتأمل حاله بعد زواجه منها، حيث أصبح ﷺ بين عشية وضحاها من أغنياء قريش، وذوى ثرواتها، حيث أصبح عُرفاً مالها ماله، وثراؤها ثراءه. فهل غير ذلك تكافؤه الخلقى؟!0

كلا! إن سيدنا محمد ﷺ ظل بعد هذا الثراء الغامر، كما كان من ولد ونهد وشب، يعيش فى شظف عيشه؛ لا من قلة المال فى يده، بل لأن خصيصة التكافؤ الخلقى عنده طبعته على الزهادة فى الحياة المادية المترهلة التى كانت تحياها قريش، وطبعته على التسامى بنفسه عن مطامع الماديين، إذا هبط عليهم الثراء من غير كد ولا تعب 0

---

[1] () الآية 4 القلم 0

فحياته قبل زواجه من خديجة كانت تقلل من الدنيا، وكذلك كانت حياته بعد زواج خديجة، حياة تقلل من الدنيا وهى ملء يده وهكذا كان آخر حياة شبابه، صورة من أولها[1]0

ولا غرو فى أن يكون رسول الله بتلك المثابة من التكافؤ الخلقى، فقد عصمه ربه عز وجل، واصطنعه لنفسه، وأراد منه أن يكون خاتم أنبيائه ورسله إلى الخلق كافة، ولا يقوم بذلك إلا أمين صاحب خلق عظيم، ينال ثقة الناس فيستجيبون له ويؤمنون به 0

ط- من مظاهر عصمته كمال عقله :

إن كمال العقل وفطنته من أبرز صفات الرسل الذاتية التى منحهم الله تعالى إياها، وهى من لوازم الرسالة الإلهية، والاصطفاء الربانى لها، كما أنها عامل مهم، وسبب قوى من أسباب تبليغ رسالة الرسل إلى أقوامهم، ومعالجتهم بالتربية الحكيمة، والقيادة السليمة وفق طبائعهم وأخلاقهم. قال تعالى : **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**[2] وواضح من هذه الآية الكريمة التى تبين سبيل الدعوة أنها تعتمد على رجاحة العقل وفطنته 0

فلابد أن يكون الرسول أكمل الناس عقلاً وفطنة حتى يقيم الحجة على قومه على خير وجه، بحيث تكون ملزمة للخصم كل الإلزام، فإن آمن، وإلا جادله فاستعمل معه أسلوب المعارضة، والمناقضة، وهو فى كل ذلك يسلك مسالك الكرام لا يسئ ولا يغضب[3] وقد قص الله عز وجل لنا من أحوال فطنة الرسل مالا ينقض منه العجب، من سرعة البديهة، وإقامة الحجة الصادقة، وذلك كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، ويونس، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين 0

وإذا ذهبنا لذكر نماذج من فطن الأنبياء فى القرآن الكريم، فإن ذلك يفضى بنا إلى الإطالة، ولكن بحسبنا أن نأتى ببعض النماذج من واقع حياة

---

1 () ينظر : محمد رسول الله [illegible]

2 () الآية 125 النحل 0

3 () ينظر : أعلام النبوة للماوردى ص 89، 309 بتصرف، والمدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 172، وأخلاق النبى [illegible]

سيدنا محمد ، لتكون كافية للدلالة على باقى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذ ما يجوز فى حق نبى يجوز فى حق غيره من الأنبياء 0

قال القاضى عياض : بعد أن قرر أنه لا مرية فى أنه أعقل الناس وأذكاهم وفى ذروة الذرى فى الفطنة، ورجاحة العقل قال : "ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب فيه، لم يمتر فى رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة"[1]0

وإليك بعض الأمثلة على كمال عقله وفطنته من سيرته العطرة :

أ- سـرعة حلـه للمشـاكل المستعصـية الـتى تحـار فـى حلهـا العقـول الكـبيرة الشهيرة وصور ذلك كثيرة منها :

1- حله لمشكلة قريش فى وضع الحجر الأسود الذى تنافست فيه قبائلها، وأرادت كل قبيلة أن تحوز شرف وضعه، وتستأثر به على غيرها، حتى وصل بها الحال إلى شفا الحرب، حيث قربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت، وأدخلوا أديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة، فسموا لعقة الدم، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد فتشاوروا وتناصفوا، وأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة، وكان يومئذ أسن قريش كلها على أن يجعلوا بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد – يعنى باب بنى شيبة – فكان أول داخل رسول الله ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا، هذا محمد! فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر فقال : **"هلم إلى ثوباً،** فأتى به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً. ففعلوه حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بنى عليه"[2]0

وبذلك رفع ما بينهم من ذلك الخلاف الذى كاد يؤدى برجالهم، والذى حارت فيه عقولهم، وفيهم المشهورون بالعقل والحنكة والتجربة والسؤود، ومع

---

1 () الشفا 1/66، 67 0

2 () ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 1/252 نص رقم 197، والروض الأنف 1/346، وطبقات ابن سعد 1/146، ودلائل النبوة للبيهقى 2/56 – 62، وعيون الأثر 1/52، وأصل القصة فى سند أحمد 3/425 من حديث مجاهد عن مولاه السائب بن عبد الله، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 3/292، 8/229، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة، وأخرجه الحاكم فى المستدرك 1/628 رقم 1683 وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى 0

ذلك بارت فى هذه المشكلة العويصة، حتى خلصهم منها ذو الفطنة النبوية سيدنا محمد ، وهو يومئذ فى سن الخامسة والثلاثين من عمره [1] على الرغم من وجود الكبار والكبار جداً، وعلى الرغم من وجود العقلاء والنبلاء جداً، إلا أنه هو الذى حل المشكلة، إنه الذى ارتضاه الجميع لمكانته، فلما حكم ارتضوا حكمه لعدالته. لم يعترض أحد على شخصه، ولم يعترض أحد على فكره، حتى قال من لا يعرفه! يا عجبا لقوم أهل شرف وعقول، وسن وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سناً، وأقلهم مالاً، فرأسوه فى مكرمتهم وحرزهم، كأنهم خدم له!! [2] 0

2- ومثل هذا الحل السريع الحاسم حله لمشكلة المهاجرين **الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله** [3] فوفدوا إلى المدينة لا يملكون شيئاً، فكانوا بذلك فى خطر المجاعة والغربة، مما اقتضى إيجاد حل سريع لهذه المشكلة، وكان رجلها وواحدها رسول الله ، حيث آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق، والتوارث، واستمروا على ذلك الحال إلى أن أنزل الله تعالى : **وأولوا الرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** [4] فنسخت حكم التوارث بين المهاجرين والأنصار [5] وبذلك حل النبى مشكلة من أكبر المشاكل استعصاءً فى الحل 0

3- كما حل فى نفس الوقت مشكلة أخرى هى بمثابة المشكلة الأولى فى الأهمية، وهى مشكلة التعايش فى المدينة بين طوائف مختلفة : الأوس والخزرج الذى كان بينهما من العداء بسبب ما كان يجرى بينهما من الحروب مالا يكاد ينسى والمهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأموالهم، وأتوا لنصرة رسول الله وجموع يهود التى كانت تسيطر على الحركة الاقتصادية فى المدينة باحتكارها التجارة فيها، وتشكيلهم خطراً عظيماً على الدولة الإسلامية الفتية، وهم أيضاً منقسمون على أنفسهم، فبعضهم يوالى الأوس، والبعض الآخر يوالى الخزرج. فكان لابد من إيجاد ثقة كاملة، بين هذه الأطراف المختلفة للتعايش السلمى، والدفاع العام عن عدو مشترك

---

1 () وهذا رأى ابن إسحاق، وإليه جنح جمهور المؤرخين، ومؤلفى السير والمغازى. ينظر : المصادر السابقة، مع محمد رسول الله □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□/□ □

2 () ينظر : المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 169 0

3 () جزء من الآية 8 الحشر 0

4 () جزء من الآية 75 الأنفال 0

5 () ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 2/130 نص رقم 540، مع الروض الأنف 2/350 ووفاء الوفاء للسمهودى 1/267، وعيون الأثر 1/21 0

يقدم عليهم من الخارج، يريد المساس بأحد من هذه الطوائف، فكان ذلك بما أجراه النبى من عهد موادعة بين هذه الطوائف يرضى جميعها 0

وبهذا العهد[1] قضى رسول الله على النعرات الجاهلية، والدسائس اليهودية، وأوجب للجميع الود والإخاء، والتراحم، وإقامة العدل، وما كان لذلك أن يتم لولا هذا العلاج الناجح، من ذى الفطنة العظيمة، والسياسة الحكيمة – صلوات الله وسلامه عليه 0

4- وكم كانت فطنته الكاملة تحل من مشاكل عديدة فى أسرع وقت وأقصره، فيتحقق بذلك له ولأمته ما يصبون إليه من نصر وسعادة وعز وسيادة، وليس أدل على ذلك من صلح الحديبية! الذى كان آية من الآيات العظيمة، فبه فتح الله عليه مكة دون حرب أو قتل... ومن كان يتصور فتح مكة بهذا السلام العظيم؟!! والأمثلة غير ذلك ينوء عنها الحصر فى مثل هذا المقام المقتضى للإيجاز، والإتيان من كل بحر قطرة كالأنموذج لغيره، والدليل على ما سواه 0

ب- ومن مظاهر كمال عقله وفطنته، سرعة إقامة الحجة على المعارضين وقطع شغبهم وجدالهم بالباطل، فلا يستطيعون مجاراته أو مكابرته، بل لا يسعهم إلا الإذعان والتسليم، أو النكوص على أعقابهم خاسئين خاسرين، وصور ذلك كثيرة منها :

1- ما جاء عن سعيد بن أبى راشد[2] – رحمه الله – قال : رأيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله (بحمص) وكان جاراً لى شيخاً كبيراً، قد بلغ الفناء أو قرب، فقلت : ألا تخبرنى عن رسالة هرقل إلى رسول الله ، ورسالة رسول الله إلى هرقل؟ قال : بلى... وذكر الحديث وفيه : "فانطلقت بكتابه (أى كتاب هرقل) حتى جئت "بتبوك" فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء، فقلت : أين صاحبكم؟، قيل : ها هو ذا، قال : فأقبلت أمشى حتى جلست بين يديه، فناولته كتابى فوضعه فى حجره، إلى أن قال : ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره، فقلت : من صاحب كتابكم الذى يقرأ لكم؟ فقالوا : معاوية. فإذا فى كتاب صاحبى : يدعونى إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين! فأين النار؟ فقال رسول الله **"سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟! ..."**[3] **0**

---

1 () نص ذلك العهد فى السيرة النبوية لابن هشام 2/126 نص رقم 538، وعيون الأثر 1/97 والروض الأنف للسهيلى 2/346 0

2 () قال الحافظ فى التهذيب 4/26، ذكره ابن حبان فى الثقات 4/290، وفى التقريب 1/352 رقم 2308 مقبول 0

3 () أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على المسند 3/441 وأبو يعلى، وإليهما عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد 8/236 وقال : رجال أبى يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك 0

2- وجاءت قريش إلى حصين بن عبيد[1] وهو من عظماء قريش، فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل، يقصدون : رسول الله ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبى ، فقال : **أوسعوا للشيخ**، وعمران[2] وأصحابه متوافرون 0

فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك، إنك تشتم آلهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيراً؟ فقال : **يا حصين، إن أبى وأباك فى النار. يا حصين! كم تعبد من إله**؟ قال : سبعاً فى الأرض، وواحداً فى السماء. قال : **فإذا أصابك الضر من تدعوا؟** قال : الذى فى السماء. قال: **فإذا هلك المال من تدعوا؟** قال : الذى فى السماء. قال : **فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه؟! أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟** قال : لا واحدة من هاتين. قال : "وعلمت أنى لم أكلم مثله" قال : **يا حصين! أسلم تسلم.** قال : إن لى قوماً وعشيرة فماذا أقول؟ قال : قل : **اللهم إنى أستهديك لأرشد أمرى، وزدنى علماً ينفعنى.** فقالها حصين، فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عمران فقبل رأسه، ويديه، ورجليه، فلما رأى ذلك النبى بكى، وقال : **بكيت من صنيع عمران، دخل حصين، وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلم أسلم قضى حقه، فدخلنى من ذلك الرقة،** فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : **قوموا فشيعوه إلى منزله،** فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ[3] وتفرقوا عنه[4]0

---

1 () هو والد عمران بن حصين رضى الله عنهما، له ترجمة فى أسد الغابة 2/34 رقم 1185، وتجريد أسماء الصحابة 1/132، والاستيعاب 1/353 رقم 514 0

2 () عمران هو : إبن حصين الذى يتحدث مع الرسول هنا، إلا أن عمران كان قد أسلم، أما أبوه فقد أسلم فى هذه الجلسة. له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 48 رقم 218، وتاريخ الصحابة ص 183 رقم 949، والاستيعاب 3/1208 رقم 1969، وأسد الغابة 4/269 رقم 4048 0

3 () أى ترك دينهم، وأسلم لله رب العالمين. ينظر : النهاية فى غريب الحديث 3/3 0

4 () ذكره ابن حجر فى الإصابة 2/87، وعزاه لابن خزيمة، وشئ منه عند الترمذى فى سننه كتاب الدعوات، باب بعد باب جامع الدعوات بأربعة أبواب 5/485 رقم 3483 وقال حديث غريب، وفيه حديث عند أحمد فى مسنده 4/444 0

فنتأمل كلمة "حصين" الذى تعظمه قريش : "وعلمت أنى لم أكلم مثله" إن هذه الكلمة من هذا الرجل تبين مدى كمال عقله ، وأنه يفوق عقل المعظمين من البشر، إنه عقل نبى مصطفى معصوم!0[1]

3- وعن أبى أمامة رضى الله عنه[2] قال : إن فتى شاباً أتى النبى فقال : يا رسول الله، ائذن لى بالزنا!! فأقبل القوم عليه، فزجروه، وقالوا : مهٍ مهٍ[3] فقال : **أدنه، فدنا منه قريباً.** قال : فجلس فقال : **أتحبه لأمك؟** قال : لا! والله، جعلنى الله فداك فقال : **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم.** ثم قال : **أفتحبه لابنتك؟** قال : لا!، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك. قال **ولا الناس يحبونه لبناتهم.** ثم قال : **أفتحبه لأختك؟** قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال : **ولا الناس يحبونه لأخواتهم،** ثم قال : **أفتحبه لعمتك؟** قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال **ولا الناس يحبونه لعماتهم.** ثم قال : **أفتحبه لخالتك؟** قال : لا والله، جعلنى الله فداك. قال : **ولا الناس يحبونه لخالاتهم.** قال : فوضع يده عليه، وقال : **اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه،** فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ"0[4]

انتهى الفتى عن هذه الفاحشة، وأصبح لا يلتفت إليها، فقد أقنعه إقناعاً تاماً، وردد، وكرر، حتى قبح هذا الفعل فى نظر الرجل، فأبغضه وابتعد عنه، وهو بدعائه له زاد الأمر حسناً فلم يقف عند حد الإقناع، وإنما دعا له – وهو مستجاب الدعوة – فاقتناع الرجل، وهداه الله، وهكذا النبوة0[5]

والشاهد مما سبق أنه لم يغضب، ولم يثر، وإنما كلمه كلاماً سهلاً غاية السهولة، أقنعه كل الإقناع. وهذا من كمال العقل وفطنته 0

---

1 () ينظر : المدخل إلى السنة النبوية للدكتور عبد المهدى عبد القادر ص 165 0

2 () صحابى جليل له ترجمة فى : مشاهير علماء الأمصار ص 65 رقم 327، وتاريخ الصحابة ص 137 رقم 675، وأسد الغابة 6/14 رقم 5695، والإصابة 2/182 0

3 () كلمة زجر بمعنى اسكت. النهاية فى غريب الحديث 4/321 0

4 () أخرجه أحمد فى مسنده 5/256، 257، وعزاه إليه وإلى الطبرانى فى الكبير وقال رجاله رجال الصحيح الهيثمى فى مجمع الزوائد 1/129 0

5 () ينظر : المدخل إلى السنة النبوية ص 166 0

4- وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابياً أتى رسول الله فقال : يا رسول الله! إن امرأتى ولدت غلاماً أسود، وإنى أنكرته[1] فقال له النبى **هل لك من إبل؟** قال : نعم. قال **ما ألوانها؟** قال : حمر. قال : **فهل فيها من أورق**[2] قال : نعم. قال رسول الله : **فأنى هو؟**[3] قال : لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له[4] فقال له النبى **وهذا لعله يكون نزعه عرق له**[5]0

إنه فى هذا الموقف جعل السائل ينطق بالجواب، وضرب له مثلاً من بيئته، وأقنعه أيما إقناع، ولقد كان الرجل منصفاً، فما أن ضرب له المثل إلا اقتنع. لقد سلم الرجل واعترف أن العرق نزاع، وعليه فلعل عرقاً نزع ابنه هذا، كما أن إبله التى فيها جمل يختلف لونه عن بقية الإبل لعله نزعه عرق[6]0

جـ- ومن مظاهر كمال عقله وفطنته براهينه الساطعة القاطعة التى كان يقيمها على مجادليه ومناظريه من مشركين، وأهل كتاب وغيرهم، وصور ذلك كثيرة أكتفى منها بما يلى :

1- مجادلته لكفار قريش، وهو ما كان من ابن الزبعرى[7] الذى سمع يقول الله تعالى **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون. لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها**

---

1 () أى أنكر أن يكون هذا الغلام ابنه، إذ هو أبيض والابن أسود، كما جاء فى رواية أخرى : "وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه" أى يدعى أنه ليس ابنه، وإنما جاءت به أمه من زنا!!0

2 () الجمل الأورق : هو الذى سواد لونه ليس صافياً0ينظر : مختار الصحاح ص 717 .

3 () أى : من أين جاء هذا الأورق الذى يختلف لونه عن لون جمالك 0

4 () أى : يحتمل أن يكون فى آبائه من الإبل ما هو أسود، فأشبهه هذا 0

5 () أخرجه مسلم (بشرح النووى) كتاب اللعان 5/385 رقم 1500، والبخارى (بشرح فتح البارى) كتاب الاعتصام، باب من شبه أصلاً 13/309 رقم 7314 0

6 () المدخل إلى السنة النبوية ص 167 0

7 () هو عبد الله بن الزبعرى، شاعر قريش فى الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر. مات سنة 15هـ له ترجمة فى : أسد الغابة 3/239 رقم 2946، والاستيعاب 3/901 رقم 1533 0

خالدون. لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون[8] فقال : أما والله لو وجدت محمداً لخصمته، فسلوا محمداً! أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة! واليهود تعبد عزيزاً! والنصارى تعبد عيسى ابن مريم! فعجب الحاضرون مما قاله ابن الزبعرى، ورأوا أنه قد خصم رسول الله وغلبه، فقال النبى : "**إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته**" فأنزل الله تعالى تصديقاً لنبيه : **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون. لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون**0[2]

فانظر إلى هذا الجواب المفحم الذى لم يترك للمجادل مجالاً للتمادى بالباطل، حيث أعلمه أن من ذكر لم يأمروهم بعبادتهم، وأنهم إنما يعبدون الشياطين، وأنهم لو أمروهم بذلك أو حبذوا ذلك منهم لكان الحكم عاماً فيهم 0

على هذا النحو كانت مجادلة النبى للمشركين فى مكة، وأهل الكتاب فى المدينة[3] والوفود الواردة من كل نواحى الجزيرة، يجادلوه فيأيده الله، ويقيم الحجة عليهم، وأذكر من ذلك مثالاً ما يلى :

2- وفد بنى تميم : فلقد قدم عليه أشرافهم، منهم الأقرع بن حابس، وهو من سادات العرب وحكامها[4] والزبرقان بن بدر التميمى– أحد بنى سعد – وعمرو بن الأهتم. وقالوا لرسول الله : جئنا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، وتمت المفاخرة، وفى نهايتها قال الأقرع بن حابس : إن هذا

---

1 () الآيات 98 – 100 الأنبياء 0

2 () الآيات 101 – 103 الأنبياء، وينظر : السيرة النبوية لابن هشام 1/451، 452 نص رقم 349، والبداية والنهاية لابن كثير 3/86، 87 نقلاً عن ابن إسحاق 0

3 () ينظر أمثلة على ذلك فى البداية والنهاية 6/179، وحوار الرسول [illegible]

4 () له ترجمة فى : أسد الغابة 1/264 رقم 208، وتاريخ الصحابة ص 38 رقم 73، والاستيعاب 1/103 رقم 69 0

الرجل لموتى له[1] لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا[2]0

لقد اعترف الرجل بكمال عقله وفطنته ، وأنه اختار من أتباعه خطيباً يناسب هذه القبيلة من العرب، ففاق خطيبهم، واختار شاعراً فاق شاعرهم، وما ذلك إلا لكمال عقله وفطنته، وفهمه الدقيق للوافدين عليه، وفهمه الدقيق لأتباعه 0

لقد أسلم الوفد[3]، وهكذا كل من ورد عليه، يعترف بنبوته، وعصمة المولى عز وجل له، وتأييده فى كل أموره[4]0

وبعد : فقد اتضح لك فيما سبق من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، عصمة سيدنا رسول الله من كل ما يمس قلبه وعقيدته بسوء، من التمسح بالأصنام، أو الحلف بها، أو أكل ما ذبح على النصب، ونحو ذلك من مظاهر الكفر والشرك والضلال، والغفلة، والشك، وكذا عصمته من تسلط الشيطان عليه، وعصمته من كل ما يمس أخلاقه بسوء حتى استحقت أن توصف بالعظمة قال تعالى : **وإنك لعلى خلق عظيم**[5] وبلغ من عظمة أخلاقه تكافؤها بنسب متفقة، فحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته، الخ، وهو فى كل ذلك فى أول شبابه كآخر حياته. وكذلك اتضح عصمته من كل ما يمس عقله بسوء، حتى كان قبل النبوة وبعدها أكمل الناس عقلاً وفطنة، كما كان أكمل الناس إيماناً وخلقاً0

وكذا عصم رب العزة رسوله وخصه دون سائر الأنبياء بعصمة بدنه الشريف من القتل، وقد دل على ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة، والسيرة العطرة، فإلى تفصيل ذلك فى المبحث التالى 0

---

1 () أى : أنه
2 () قصة الوفد ذكرها ابن إسحاق، ومن طريقة غيره، ينظر : السيرة النبوية لابن هشام 4/242 – 251 من نص 1932 – 1942، وطبقات ابن سعد 1/293، 294، وتاريخ الطبرى 3/115،= والدرر = فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ص 255، ودلائل النبوة للبيهقى 5/313، والبداية والنهاية لابن كثير 5/41، 42 0
3 () ينظر المصادر السابقة 0
4 () المدخل إلى السنة النبوية ص 170 بتصرف يسير 0
5 () الآية 4 القلم 0